[231] الدرس الكبير أحدث انقسام الأمة بفعل بنى أمية أثره في الفقه. وليس كلام بعض المسلمين في أفراد من الصحابة إلا أثر من آثار هذا الانقسام. ومن الطبيعي ألا تمتنع الألسنة عما لم تمتنع عنه الأسلحة. وأن تستمر معارك الكلام وإن توقفت رحى الحرب. شق أهل الشام عصا الطاعة لأمير المؤمنين منذ استخلف. وانتهت يوم " وقعة الجمل " فتنة عمياء فيومئذ قال محمد بن الحنفية وهو يحمل الراية: هذه وا الفتنة الكاملة العمياء. وناداه أمير المؤمنين (هل عندك في جيش، مقدمه أبوك، شئ !). ونفر البطل للقاء أهل الشام في صفين. ورفع جيش معاوية المصاحف. ثم كانت خدعة التحكيم وخروج الخوارج وهزيمتهم. ولكنهم ظلوا يمثلون التعصب العميق لفكر لم يتمرس بالسياسة وتبعات القيادة و حقن الدماء. فلاموا عليا لقبوله التحكيم مع معاوية (1). وعندئذ لم يوالوا عليا ولا من والاه - لكن الدولة لم تؤل إليهم، ولهذا قل أثرهم في الاتجاه العام للأمة. وإنما الذى أحدث أثره العظيم في الأمة خلاف معاوية. إذ ولى الحكم وألزم ولاته بالطعن في على. والتنكيل بمن والاه. ونظرت العامة إلى مصلحتها العاجلة في توقى الشرور من السلطة. ونظر المتفقهون - ومعهم جمهور الأمة -

_____ (1) كفروا على لقبوله التحكيم ورأوا أن الخلافة لابد لها من بيعة الجمهور. وأنها لا تنحصر في بيت معين وبرئوا من على وعثمان ومعاوية. الأول لقبوله التحكيم والثانى لمخالفة سياسة الشيخين أبى بكر وعمر والثالث لاستيلائه على الأمر بالقوة.. يأخذون بظاهر العبارة من القرآن. ولا يأخذون من السنة إلا ما يرويه من يتولونهم. وعمدتهم في ذلك الأحاديث المروية على عهد الشيخين. وكل من تعدى حدود ا عندهم فاسق. ولذلك عدوا أشياع معاوية والذين لم يتبرءوا من على وعثمان - وهؤلاء جمهور الأمة - خارجين على الإسلام واستحلوا ما لهم وقتلهم، وبهذا نفر الناس منهم. (*)

_____